

المذهب الأشعري ومدارسه في المشرق والمغرب

الدرس 8

أهداف الدرس

1. أن أتعرف مدارس المذهب الأشعري في المشرق والمغرب؛
2. أن أستنتج مميزات هذه المدارس وخصوصياتها؛
3. أن أتمثل مناهج هذه المدارس استدلالاً ومناقشة.

تمهيد

انتشر المذهب الأشعري في أرجاء العالم الإسلامي نظراً لصحة أصوله ورصانة منهجه وقوة دلائله، فارتضاه العلماء وقرروا كتبه، وألفوا فيه مؤلفات فشرحوها وأضافوا إليها وذاذوا عنها مقتنعين بها متشوفين إلى معرفتها والعلم بمسائلها، فنشأ عن ذلك مدراس أشعرية في المشرق والمغرب.

فما هي أهم هذه المدارس؟ وما هي مميزاتهما؟

نص الانطلاق

قال ابن خلدون رحمه الله: «وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري واقتفى طريقته من بعده تلاميذه كابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار، وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء، وأن العرض لا يقوم بالعرض، وأنه لا يبقى زمانين، وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول، وجملت هذه الطريقة، وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية، إلا أن صور الأدلة فيها بعض الأحيان، على غير

الوجه الصناعي... ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعياري للأدلة فقط يسبر به الأدلة منها كما يسبر من سواها. ثم نظروا في تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للأقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التي أدت إلى ذلك وربما أن كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات، فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم إلى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار إليه القاضي فصارت هذه الطريقة في مصطلحهم مباينة للطريقة الأولى وتسمى طريقة المتأخرين وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الإيمانية وجعلوهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم. وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الإمام ابن الخطيب وجماعة قفوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم، ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة». [العبر، 1/589].

الفهم

الشرح:

- **الجوهر الفرد:** ما لا يقبل التجزئة لا بالفعل ولا بالقوة.
- **العرض:** ما لا يقوم بنفسه.
- **استخلاص المضامين:** أستخلص أهم مدارس الأشاعرة في المشرق والمغرب.

التحليل

اشتمل هذا الدرس على مسألتين:

المسألة الأولى: المدارس الأشعرية المشرقية

تعتبر مدرسة الشيخ أبي الحسن الأشعري وتلاميذه أم المدارس الأشعرية؛ نظرا لأن شيوخ بقية المدارس أخذوا عنها منهجهم في الاستدلال مع ما يمكن أن نراه من خصوصية ترجع لكل مدرسة؛ لأن طريقتهم في الاحتجاج قد عرفت تطورا، ولهذا جعلها المهتمون بالدراسة الكلامية مدارس، نكتفي من ذلك بمدرستين:

1. المدرسة الأشعرية المشرقية الأولى

يمثلها الإمام الباقلاني وبعده إمام الحرمين ، ولها مميزات وهي كالآتي:

- أنها هذبت طريقة من سبقوها .
- أضافت الحجج العقلية للحجج النقلية .
- وضعت المقدمات العقلية مثل إثبات الجوهر الفرد والعرض ، واستدلت بحدوث الأعراض على حدوث العالم ، وناقشت المخالفين في ذلك .

2. المدرسة الأشعرية المشرقية الثانية

يمثلها الإمامان الغزالي وابن الخطيب ومن أخذ عنهما ، وقد استفادت من المدرسة الأولى التي قبلها لأنها مهدت لها الطريق ، وهذبت لها السُّبل ، لكن الثانية تميزت عن الأولى بأمور وهي كالآتي:

- نضج القواعد المنطقية عندها لأنها خلصتها من الفلسفة .
- تهذيب قضايا المدرسة الأولى وتخليصها من بعض الأفكار الفلسفية المنحرفة ، فأعادوا النظر في مقدماتهم فسبروها وميزوا صحيحها من سقيمها ، فردوا بعضها كردهم قاعدة: «بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول» .
- عدم اكتفاء هذه الطريقة بالرد على من سبقها ونسف بعض قواعدها ، بل دخلت في الرد على الفلاسفة أنفسهم بهدم بعض أفكارهم ، مثل ما عند الإمام الغزالي في تهافت الفلاسفة .

المسألة الثانية: المدارس الأشعرية المغربية

رغم أن المذهب الأشعري أدخله إلى المغرب قبل الموحدين علماء أجلة كدراس بن إسماعيل والسلالجي ، وحمله الإمام الباجي وابن العربي وغيرهما إلى الأندلس ، لكنه لم يأخذ طريقه الرسمي إلا في زمان الموحدين حيث يعتبر المهدي بن تومرت وتلميذه عبد المومن من المؤسسين للمدرسة الأشعرية المغربية الموحدية بصفة رسمية ، وعلى هذا فالمدرسة المغربية متنوعة إلى مدراس نجل القول فيها فيما يأتي:

1. المدرسة المغربية الأشعرية قبل الدولة الموحدية

هذه المدرسة مدرسة علمية يمثلها علماء اقتنعوا بصحة أصول العقيدة الأشعرية فأخذوا ينشرونها بحماس علمي، وأغنوا المدرسة المغربية بتأليفهم كابن العربي في «المتوسط في الاعتقاد وغيره والسلالجي في «البرهانية» وغيرهما، وقد استفادت من المدرستين المشرقيتين وتأثرت بهما مع ما للمدرسة المغربية من خصوصيات نتعرف عليها في الدرس العاشر.

2. المدرسة المغربية الأشعرية الموحدية

هذه المدرسة استفادت من المدرسة المشرقية الثانية وقد اختصت بأمور وهي كالاتي:

- أنها حافظت على النقل، وتشددت في تأويل ما يوهم التجسيم، لكن دون الخروج عن قواعد اللغة العربية.
- استحسنست الاستدلال بالحجج العقلية في صد أهل البدعة، وهذا من الأسباب التي جعلت مناظرها ينتصر على غيره في المناظرة أمام أمير المرابطين علي بن يوسف.

3. المدرسة المغربية الأشعرية بعد الدولة الموحدية

هذه المدرسة استفادت من المدارس السابقة لكنها مرت بفترة يعتبرها بعض الباحثين مرحلة ركود، وهي في الحقيقة مرحلة تهذيب العقيدة الأشعرية مما علق بها زمن دولة الموحدين مع المحافظة على «المرشدة» في تدريسها، إلى أن جاء دور «المدرسة السنوسية» التي أحييت من جديد المذهب الأشعري ورجعت بالناس إلى أصوله ومنهجه، فظلت كتب مؤسسها الإمام السنوسي عمدة العلماء والطلاب، واشتغل الناس بخدمتها تدريسا وشرحا وتعليقا ونسجا على منوالها، بل وقف السلطان المولى الرشيد العلوي أوقافا على من يُقَرَأ في الروضة الإدريسية العقيدة السنوسية الصغرى، وكان لكبار العلماء بجامع القرويين مجالس علمية يدرسون فيها كبرى السنوسي وصغراه، منهم الإمام الورياكلي، والشيخ ابن سودة، والشيخ يحيى السراج، والشيخ القاضي عبد الواحد الحميدي، والشيخ سيدي محمد الشريف التلمساني.

التقويم

1. أبين خصوصيات المدارس الأشعرية المشرقية.
2. ما هي مميزات المدارس الأشعرية المغربية؟

الاستثمار

كان للمدرسة السنوسية إسهام كبير في خدمة العقيدة الأشعرية بالمغرب .

- عرف بأهم كتب الإمام السنوسي في العقيدة الأشعرية مبينا آثارها في ترسيخ العقيدة الأشعرية بالمغرب .

الإعداد القبلي

أراجع مصادر العقيدة الأشعرية، وأبحث عن أهم أعلام المذهب الأشعري في المشرق ومناهجهم .